أخبار الخليج

لعدد (17508) - السنة الحادية والخمسون - السبت 11 رمضان 1447هـ - 28 فبراير 2026م

أنوار في الشرق وظلام في الغرب!

بقلم:
جميل مطر ○

كان يومًا بصباح مختلف. نهضت من فراشي وكلي رغبة عارمة في أن أتمرد على عادة من عادات آخر الأيام. كنت قد عودت نفسي، أو عودتني سياقات الزمن في آخر تجلياته، على افتتاح نهاري بمشاهدة قنوات تليفزيونية كانت في يوم غير بعيد من المفضلات أو من المفروضات. حدث في الأيام الأخيرة أن تعمق إحساسي بأن بوادر يأس مختلطة بمؤشرات قلق وعلامات ضيق ومظاهر نكد تزحف لتهيمن على مجمل سلوكياتي، ممتدة ساعة بعد ساعة لتؤثر أيضًا، أو خشيت أن تؤثر، في الشكل وتفاصيل الوجه إلى حجم الجسم منتهية برزانة العقل.

كان لا بد من تغيير وضع لم يعد استمراره محتملًا. أذكر أن ظني، ولم يكن في غير محله، راح إلى تحميل القنوات الملتصقة بـ«صباحاتي» مسؤولية تدهور الوضع. وبالفعل جاء هذا الصباح ومعه القرار أن أبدأ التمرد بالانتقال إلى مشاهدة قنوات أخرى غير تلك التي لم نكن، القنوات وأنا، نفترق في أي صباح على امتداد سنوات عديدة.

أخذني «الريموت» إلى مكان بعيد جدًا، أخذني إلى حيث صور للبهجة والفرحة والأغاني المرحة والرقص الناطق بالمعاني الراقية. اكتشفت أنني أمام صور عن احتفال شعب الصين بعيدين، عيد مولد سنة جديدة، سنة الحصان، برمز الشجاعة والمستقبل. وعيد ميلاد الربيع. غلبتني مشاعر الإعجاب والانبهار وبعض الحنين لا أنكره وانزاحت بعض مظاهر القلق.

تساءلت: كيف أمكن لشاشة، أعرف قدر اتساعها، استيعاب راقصات وراقصين بالآلاف، ولا أبالغ في الرقم، يرقصون، وممثلون وممثلات بالمئات يتحركون وعلى وجوههم الأقنعة التاريخية ويرفلون في ملابس معبرة وموحية بعظمة مرحلة أو أخرى في التاريخ؟

تساءلت مرة أخرى، كيف أمكن لشاشة أن تنقل هذه الاستعراضات بنفس ألوانها الزاهية والناطقة في آن. أجزم وبكل الثقة والاطمئنان بأن الاحتفال الذي شاهدت والذي استمر ساعات أربع أو أكثر نجح في أن ينقلني من العيش في حال سبق أن وصفت وشرحت، حال عالم تخبو أنواره، إلى العيش في حال عالم مفعم بالأمل والثقة في المستقبل، حال عالم عادت تضاء كل مصابيحه.

شاهدت أيضًا على شاشة تلك القناة صور شعب من الشرق أو من الجنوب مثل شعب بلادي، شاهدته ينتهز فرصة شهر الصيام لينجح ويفرح. رأيت ألوانًا ومظاهر من البهجة والتفاؤل والأمل حرمتني منها قنوات غربية طالما صبغت صباح أيامي بلون العتمة وحاولت أن تعيد صياغة حياتي بغير ما تمنيت وبغير ما أستحق. قنوات راحت تنعى بعبارات أو تلميحات مختلفة انحدار الغرب أو تعلن، غير آسفة، اقتراب نهاية حقبة في تاريخه. تنعى نهاية إيمانه بقيم الحقوق والديمقراطية أو هي تكشف عن شبكات جاسوسية نسجها أغنياء لابتزاز أغنياء آخرين ومسؤولين، ورؤساء وأمراء وأميرات. سمعنا عن أدلة تدين عظماء في الفن والأدب والعلم، تدين ماضيهم ومستقبلهم مرورًا بحاضرهم.

شاهدنا جزيرة وقصورًا وطائرات خاصة ويختًا وكاميرات تصوير استخدمها الجواسيس لتصوير الرجال العظام مع فتيات قصر. هؤلاء تركوا ثروة سيئة السمعة تقدر بست ملايين وثيقة كلها تعكس لحظة انطفاء بعض مشاعل حضارة الغرب.

هذه في التاريخ ليست الحالة الفريدة التي تقدم فيها نخبة سياسية على إعلان نهاية حضارة تقودها فتتولى بنفسها مسؤولية إطفاء مصابيح النور فيها ليعم الظلام، وقد رأيناه، رأينا الظلام يهم بأن يعم.

إن عدت الآن، وسوف أعود حتمًا، أعود إلى الشارع العتيق في مصر. هناك سوف أجد الفرحة على وجوه أطفال حملوا فانوس رمضان بألوانه المرحة وفي صحبته أغانيه الرائعة، أغاني كلها كلمات فرح وسعادة.

هنا، والآن، نجد في كثير من بلاد الجنوب ألوانا ورايات وصورا ولوحات على جدران البيوت. هنا، والآن، نجد نوعًا من فرح عاش لبعض السنة مؤجلًا أو مكبوتًا، لكن الناس تعرف أن لهم موعدًا معه لا يغيب عنه. يأتي الفرح ومعه الألوان والملابس الملونة والعرائس والأحصنة الملونة والمأكولات والحلوى الشهية.

عشنا أيامًا أو أسابيع تصلنا بالهمس ثم بالصخب في العتمة التي راحت تحل بالغرب، تصلنا تسريبات عن فضائح تمس العائلة المالكة الإنجليزية، واحدة من أقدم العائلات الملكية في العالم، وأخرى، أو من نفس النوع، تمس قادة فكر وفلسفة وقانون وتاريخ داخل قلاع علم في أمريكا وبريطانيا وفرنسا ودول غربية أخرى، وفضائح ربما كانت الأسوأ تمس سمعة النخب السياسية الحاكمة في عدد كبير من هذه الدول. هذه الفضائح وكثيرة غيرها أضافت إلى حال الغرب المتدني تدنيًا أشد على سلم السقوط المتدرج منذ نهاية عهد الاستعمار، والمتسارع منذ بدء سقوط نظام الهيمنة قرب نهايات القرن الماضي.

انتهى عهد الاستعمار كما وصفه المؤرخون وقد عشنا في عالمنا العربي آخر مراحله، ويبدو أننا مقدمون على مرحلة بعثه من جديد. نعيش مقدمات هذا البعث. نعيش تجربة الإبادة، عشناها ونعيشها في غزة والضفة ويعيشها آخرون في شكل مطاردة الملونين في بلاد الفرنجة وفي بلاد من تشبه بهم. نعيش أصداء فضيحة الغرب المدوية التي نظمها المدعو إبستين وأجهزة استخبارات إسرائيلية وغير إسرائيلية ورجال أغلبهم يهود متطرفون وبالغو الثراء، جلبوا الفتيات القاصرات من كل مكان ومن أجلهن جلبوا الشخصيات البارزة من كل الدول وسجلوا اللقاءات صوتًا وصورة، تسجيلات أثارت وما زالت تثير الرعب في قلوب مئات الناس والفضول في نفوس ملايين البشر.

عدنا نعيش نهبًا لحملة غرس أو التذكير بحقيقة أن الإرهاب مصطلح ابتكره قادة في الغرب لضمان استمرار هيمنته علينا شعوبًا ودولًا. كم تساءلنا وتبادلنا التساؤل فيما بيننا، تساءلنا ببعض الخبث إن كانت «القاعدة أو داعش» أصابت بالضرر إسرائيليًا واحدًا أو مصلحة صهيونية في أي مكان. ألم يخرج علينا الرئيس الأمريكي قبل أيام قليلة جدًا بمداخلة في غير مكانها ولا زمانها إنما شاء أن يذكرنا بحقيقة لعله خاف أن تغيب عنا، تحدث عن رئيس دولة عربية جديد في منصبه فقال بوضوح واعتزاز «أنا أتيت به»، وراح يمدح في أدائه كحاكم؟ رد صحفي أمريكي مرموق على هذه المداخلة وكان حاضرًا بالقول هامسًا ومتسائلًا، «ومن أتى بك يا سيادة الرئيس؟»، وأضاف الصحفي، قائلًا: «نحن محتلون والمحتل هو «آيباك» وهي أقوى منظمات اللوبي الصهيوني في أمريكا.

أعترف بأننا ببعض آخر من هذا الخبث الذي تناولنا به حقيقة موضوع القاعدة وداعش، عشنا نتساءل عن حقيقة وجهة ولاء أعضاء الكونجرس الأمريكي الذين تلقوا تمويلًا كافيًا من آيباك ومن أثرياء اليهود، أهي أمريكا أم إسرائيل؟! نتساءل أيضًا عمن يقف وراء مقتل الرئيس جون كنيدي وعملية تفجير برجي مانهاتن في نيويورك يوم التاسع من سبتمبر، ونتساءل عن العقل أو العقول التي خططت وضغطت من أجل شن حرب على العراق. ونتساءل إلى يومنا هذا، وبخاصة بعد كل ما قرأنا من وثائق إبستين عميل الموساد، نتساءل عن سبب مقنع وراء انحياز مسؤولين كبار غربيين لإسرائيل، سبب غير الابتزاز.

ثم وقعت المقابلة الأشهر بين تاكر كارلسون الصحفي الأمريكي الشهير وهاكابي السفير الأمريكي في إسرائيل، وهي المقابلة التي شغلت الإعلام الغربي لأيام عديدة متتالية وأثارت من جديد قضية «ولاء الأمريكيين لمن»، لأمريكا أم لإسرائيل؟ وبخاصة وقد صارت أمريكا على بوابة الدخول إلى انتخابات جديدة.

هذه القضية نفسها مثارة منذ زمن في ألمانيا وبالتحديد منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، لكن تحت عناوين أخرى. تزداد أهميتها مع كل زيادة في تدهور مكانة الجماعة السياسية الغربية في نفوس الناس، أمريكيين كانوا أم أوروبيين، ولعلها صارت إضافة مهمة إلى أسباب جزع هؤلاء المواطنين وإلى دوافع قلقهم على مستقبل أمن الغرب ككل ورخاء واستقرار أوطانهم كل على حدة.

لا جدال في أن قناعة صارت تسود في أوروبا وربما في خارجها أيضا تؤكد أن حربًا أمريكية إذا نشبت ضد إيران، فإسرائيل المحرك لنشوبها والمستفيد منها، وهذه ليست المرة الأولى.

سمعت جورجيا ميلوني، رئيسة وزراء إيطاليا، تقول عن العام الماضي بأنه كان عامًا صعبًا على إيطاليا وعلى أوروبا، وأن العام الجديد سوف يكون أصعب. أظن أنني لا أختلف مع جوهر ما قالت السيدة ميلوني، فليكن ما يكون. إلا أنني أتمنى أن يكون وقعه علينا أخف وطأة وأقل صعوبة عسانا نواصل استمتاعنا بما يتيحه لنا الشهر الكريم بألوانه وأضوائه واحتفالاته من فرص فرح وبهجة ورضا بالحال.

○ كاتب ومحلل سياسي

انتخابات «بيت التجار» بين آمال التجار وتطلعات المواطنين

بقلم:
عبدالهادي الخلاقي

انتخابات غرفة تجارة وصناعة البحرين «بيت التجار» المزمع عقدها يوم السبت الموافق 28 مارس 2026م بـ34451 سجلاً تجاريا يحق لهم التصويت في انتخاب أعضاء مجلس الإدارة في ظل نظام التصويت الجديد الذي أقره المجلس النيابي بتقليص الحد الأقصى للأصوات الممنوحة للشركات الكبيرة لتصبح10 أصوات فقط بدلاً من النظام السابق الذي كان يمنح حتى 200 صوت، بهدف إعادة التوازن وتمثيل الشركات الصغيرة والمتوسطة بشكل أكبر.

انتخابات الدورة الـ30 لمجلس إدارة غرفة تجارة وصناعة البحرين عام 2022م بلغ عدد إجمالي الأصوات المشاركة 87620 صوتا من أصل 289670 صوتاً بنسبة مشاركة لم تتجاوز 30.2% من إجمالي أعداد الأصوات التي يحق لها التصويت، وهذه نسبة ضئيلة لا تمثل غالبية تجار البحرين، وهذا العزوف يُعزى إلى مجموعة من العوامل التنظيمية والهيكلية التي تراكمت عبر الدورات الانتخابية السابقة كسيطرة التوكيلات الكبيرة حيث يرى بعض الأعضاء أن نظام التوكيلات يسمح لكتل أو شخصيات معينة بالسيطرة على عدد كبير من الأصوات مما يُضعف من تأثير أصوات الأفراد المستقلين ويقلل من فرص التغيير.

الشعور السائد لدى شريحة واسعة من صغار التجار بأن الغرفة لا تمثل مصالحهم بشكل كاف مقارنة بالشركات الكبرى مما خلق نوعا من العزوفً عن المشاركة وجعل بعض المترشحين الحاليين للدورة 2026 يسعون إلى تشكيل كتل تكون صوتاً لهذه الفئة لاستعادة ثقتها وأبرزها كتلة استدامة التي يقودها رجل الأعمال نبيل خالد كانو لتحقيق التطلعات التي يتطلع لها جميع تجار البحرين للأربع سنوات القادمة، خاصة وأن آراء الشارع التجاري تشير إلى ضعف قنوات التواصل بين مجلس الإدارة والأعضاء خلال الفترات السابقة أدى إلى فتور الحماس للمشاركة في العملية الانتخابية، ويُنظر إلى هذه الكتلة كخطوة لتعزيز الوحدة والتكامل في الشارع التجاري.

التطلعات والآمال التي يعقدها تجار البحرين من خلال هذه الانتخابات كثيرة أهمها الحفاظ على المكتسبات الاقتصادية وضمان استمرارية المؤسسات التجارية في مواجهة التحديات الراهنة وتطوير التشريعات والقوانين التجارية بما يخدم نمو القطاع الخاص ويعزز مكانة البحرين الاقتصادية إقليمياً ودولياً ودعم الابتكار والريادة من خلال تبني استراتيجيات مبتكرة لدعم المشروعات الريادية والكوادر البحرينية الشابة في قطاع الأعمال، كذلك الارتقاء بجودة الخدمات التي تقدمها الغرفة لأعضائها وتفعيل دور اللجان القطاعية بشكل أكثر.

تواجه غرفة تجارة وصناعة البحرين في دورتها الـ31 حزمة من التحديات والمعوقات التي يفرضها بقلم: عبدالهادي الخلاقي

الواقع الاقتصادي المحلي والعالمي وتتمثل في استمرار الضغوط التضخمية التي ترفع تكاليف الإنتاج والتشغيل مما يؤثر بشكل مباشر في ربحية المؤسسات خاصة الصغيرة منها، كذلك يُطالب الشارع التجاري بضرورة إعادة النظر في الرسوم المفروضة على القطاع الخاص لتفادي انعكاساتها السلبية على الأسعار والقدرة التنافسية وفقدان الحصة السوقية أمام مواقع البيع الإلكترونية التي أصبحت تلبي كل احتياجات المستهلك بضغطة زر واحدة وبأسعار تنافسية كبيرة، والأهم من ذلك كله هو التحول نحو الاستدامة من خلال بناء اقتصاد مرن قادر على مواجهة الأزمات العالمية مما يضمن أمانًا اقتصادياً طويل الأمد.

وللمواطن البحريني تطلعات من بيت التجار في الدورة المقبلة كشريك أساسي في صياغة المشهد الاقتصادي خاصة مع إطلاق استراتيجية تمكين الجديدة 2030–2026 التي تضع البحريني في قلب الأولويات، وتتمثل هذه التطلعات في أداء مؤسسي يلامس حياته اليومية ويعزز الاستقرار الاقتصادي العام، فعلى الرغم من أن الغرفة تمثل التجار إلا أن قراراتها تؤثر بشكل مباشر في القوة الشرائية، كذلك خلق فرص عمل حقيقية وعادلة للمواطنين وتحفيز القطاع الخاص ليكون المحرك الرئيسي للتوظيف وتوفير وظائف نوعية ومستدامة للكوادر الوطنية بالشراكة مع جهات مثل وزارة العمل وتمكين، كما يتطلع الشارع إلى دور فاعل للغرفة في كبح جماح التضخم وضمان استقرار أسعار السلع والخدمات الأساسية من خلال دعم سلاسل الإمداد وتخفيف تكاليف التشغيل على التجار والقيام بدور رقابي وتوجيهي للتجار لضمان استقرار أسعار السلع الأساسية ومنع الاحتكار أو الزيادات غير المبررة.

وكذلك، دعم التحول الرقمي والذكاء الاصطناعي لخلق تخصصات وظائف حديثة تتماشى مع متطلبات سوق العمل المستقبلي، وتبني مزيد من المشاريع الاقتصادية التي تُسهم في خلق فرص عمل جديدة أمام المواطنين، وتعزيز مساهمة القطاع الخاص في المبادرات الاجتماعية والوطنية وتحسين أجور البحرينيين في هذا القطاع ودعم المؤسسات الصغيرة والمتناهية الصغر وتعزيز الأمن الغذائي والدوائي من خلال تشجيع الاستثمارات الوطنية في قطاعات حيوية تضمن توفر احتياجات المواطنين الأساسية محلياً، كذلك يتطلع المواطن البحريني إلى أن تكون الغرفة شريكاً قوياً في وضع السياسات الاقتصادية والتشريعات التي توازن بين مصالح التجار ومصلحة المواطن والمستهلك.

Abdulhadi.alkhalaqi@gmail.com

مواقف جيسي جاكسون المؤيدة لأقليات أمريكا

بقلم:
د. جيمس زغبي

كان القس جيسي جاكسون، الذي وافته المنية قبل بضعة أيام، شخصية بارزة تركت بصمة واضحة بما قدمته من إسهامات كبيرة للحياة العامة في الولايات المتحدة الأمريكية. فقد أسهم في تسجيل ملايين الناخبين، ممهداً بذلك الطريق لزيادة كبيرة في عدد المسؤولين المنتخبين السود في جميع أنحاء البلاد، كما نجح في الضغط على الشركات الكبرى لزيادة الفرص الاقتصادية للأمريكيين من أصل إفريقي، مما أدى إلى زيادة ملحوظة في الطبقة الوسطى السوداء.

وباعتباره جزءًا من الجيل الشاب من القادة السود الذين ساهموا في تنمية الوعي العالمي، فقد كانت رؤية وأجندة الرجل مربع الحقوق المدنية لتجعل من دعم حركات العدالة الاجتماعية والتحرر جزءًا من التيار الرئيسي للسياسة الأمريكية.

ولهذا السبب، كان القس جيسي جاكسون في الحقيقة أول زعيم سياسي أمريكي يعترف بمجتمعي من الأمريكيين العرب ويعمل على إدماجه في حركته، بالإضافة إلى اهتماماتنا بالسياسة الداخلية والخارجية.

بدأتُ شخصيا العمل مع القس جيسي جاكسون في أواخر سبعينيات القرن الماضي، حيث تواصل معي موظفوه لمناقشة خططه لزيارة فلسطين/إسرائيل للاطلاع بنفسه على الوضع في الأراضي المحتلة. فقد تركت المظالم التي شاهدها أثراً عميقاً في نفسه، ما جعله ملتزماً مؤمنا بضرورة إيجاد معالجة مركزية للحقوق الفلسطينية لتحقيق السلام في منطقة الشرق الأوسط.

في عام 1979، عندما أقيل السفير الأمريكي آنذاك لدى الأمم المتحدة، أندرو يونغ، من منصبه بسبب حديثه مع ممثل منظمة التحرير الفلسطينية لدى الأمم المتحدة، استشاط العديد من القادة السود غضبا، بمن فيهم السيد جاكسون. لم يكن الأمر مجرد كون السيد يونغ زميلاً له في حركة الحقوق المدنية، بل إن السيد جاكسون لم يستطع قبول التزام الولايات المتحدة بسياسة «عدم الحوار» مع القادة الفلسطينيين.

لذلك فقد عبر جيسي جاكسون عن عزمه على القيام بزيارة للعاصمة اللبنانية بيروت للقاء رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات وإثبات أن «سياسة عدم الحوار ليست سياسة على الإطلاق».

في عام 1983، اقترب مني السيد جاكسون خلال حفل عشاء وطلب مني ترك ما كنت أفعله والانضمام إلى حملته الرئاسية. يومها أجبته قائلا: «أنا أقوم بتنظيم شؤون مجتمعي من العرب الأمريكيين منذ أربع سنوات، ولست متأكدًا من قدرتي على ترك ما أفعله». عندها قال لي: «ستقدم لمجتمعك في الأشهر الأربعة المقبلة أكثر مما قدمته في السنوات الأربع الماضية». وكان محقًا في ذلك.

وحتى ذلك الحين، لم يكن الأمريكيون العرب موضع ترحيب في السياسة الأمريكية كمجموعة عرقية، ويعود ذلك أساسًا إلى دعمنا لحقوق الإنسان الفلسطيني. فقد رفض المرشحون مساهماتنا وتأييدنا، ولم تضم أي حملة انتخابية لجنةً أمريكيةً عربية، ولم يطرح أي مرشح القضايا الملحة التي تهم مجتمعنا بالدرجة الأولى.

غيَّر السيد جاكسون كل ذلك، وكان رد فعل الأمريكيين العرب مذهلا. وفي الواقع، فقد تأثرنا نحن الأمريكيين العرب بشدة بالحملة الانتخابية لعام 1984 لدرجة أننا بادرنا بعدها بتأسيس المعهد العربي الأمريكي للتركيز على الدروس التي تعلمناها: والمتصلة في العمل على زيادة تسجيل الناخبين، وتشجيع مشاركة المرشحين، وأهمية إيصال همومنا إلى الساحة الانتخابية وإبراز قضايانا.

وبفضل تلك الجهود التي بذلها الراحل جيسي جاكسون في إتاحة الفرصة للحديث عن فلسطين، قمنا بتشكيل تحالفات حول هذه القضية خلال الحملة الرئاسية لعام 1988، وأمكننا انتخاب عدد قياسي من المندوبين في جميع أنحاء الولايات المتحدة، وشكلنا تحالفات مع مندوبين من السود واللاتينيين واليهود التقدميين وغيرهم.

لقد أصدرنا قرارات تدعم حقوق الفلسطينيين في عشرة مؤتمرات للحزب الديمقراطي على مستوى الولايات، وفي المؤتمر الوطني للحزب الديمقراطي في أتلانتا، حصلنا على عدد كاف من المندوبين للمطالبة ببند خاص بالأقلية يتعلق بحقوق الفلسطينيين.

وفي الحقيقة، لم يسبق أن نوقشت قضية فلسطين في مؤتمر للحزب الديمقراطي. وفي المفاوضات مع حملة المرشح الأوفر حظا مايكل دوكاكيس، أصرّوا على عدم إثارة هذه القضية.

يومها قالت مادلين أولبرايت، ممثلة فريق المرشح مايكل دوكاكيس، إنه إذا ذُكرت كلمة «فلسطين» في المؤتمر، «فستنفجر الأمور»، فقلت لهم ألا يتصرفوا بجبن معنا، وأصررت على ضرورة مناقشة الموضوع.

لقد طلب مني السيد جاكسون أن ألقي بيانا من منصة المؤتمر، وقد فعلت ذلك، وكانت بالفعل تجربة رائعة أن أتمكن من مخاطبة المؤتمر الوطني داعياً إلى «الاعتراف المتبادل، والتسوية الإقليمية، وحق تقرير المصير لكل من الإسرائيليين والفلسطينيين». سبق خطابي مظاهرة حاشدة شارك فيها أكثر من ألف مندوب، حاملين لافتات تدعو إلى السلام الفلسطيني الإسرائيلي وحل الدولتين، ورافعين الأعلام الفلسطينية، وكانت تلك المرة الأولى (والأخيرة للأسف) التي يُثار فيها هذا الموضوع في مؤتمر حزبي.

جاءت ردود فعل عنيفة. فبينما أتاح لي السيد جاكسون منصبًا في اللجنة الوطنية الديمقراطية، أخبرني قادة الحزب أنه ينبغي عليّ الانسحاب لأن وجودي سيجعلني هدفًا للجمهوريين وبعض الديمقراطيين اليهود، الذين سيستغلون وجود أمريكي من أصل عربي في منصب قيادي في اللجنة الوطنية الديمقراطية لمهاجمة المرشح دوكاكيس، فيما اعتبر رئيس الحزب الجديد، رون براون، أن انسحابي هو الأنسب، لكنه وعد بتعويضنا، وقد فعل ذلك.

أصبح رون براون أول رئيس حزب يستضيف أمريكيين من أصل عربي في مقر الحزب، ويلتقي الديمقراطيين الأمريكيين من أصل عربي في مختلف أنحاء البلاد، ويلقي كلمة في مؤتمراتنا الوطنية، وبعد بضع سنوات من توليه منصبه، عيّنني لشغل منصب شاغر في اللجنة الوطنية الديمقراطية، حيث أشغله منذ ذلك الحين وإلى اليوم.

وفي عام 1994، وبعد أشهر من توقيع اتفاقيات أوسلو، لبّى السيد جاكسون دعوة ليكون المتحدث الرئيسي في مؤتمر سلام دولي كان الفلسطينيون يعقدونه في مدينة القدس. وبمجرد وصولنا إلى هناك، قال الإسرائيليون إنه لا يمكننا الاجتماع في القدس أو عقد اجتماع سياسي مع الفلسطينيين.

كان السيد جاكسون مصمماً على المضي قدماً، حيث تحدثنا مع رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك إسحاق رابين ووزير الخارجية في ذلك الوقت شيمون بيريز وطلبنا منهما السماح بإقامة الحدث.

وعلى الرغم من تمسكهما بالرفض، فقد أبى السيد جاكسون إلا أن يدعو إلى ذلك الاجتماع ثم أعلن أننا سنسير من الفندق إلى بيت الشرق، مقر الفلسطينيين في القدس. فما كان من الجيش الإسرائيلي إلا أن حاصر الفندق وأخبرنا أنه لا يمكننا المغادرة. وكعادته، أعلن السيد جاكسون أننا سنسير على أي حال، فغادرنا الفندق، وسرنا عبر صفوف الجنود الإسرائيليين.

بصراحة، كنت يومها خائفاً، لكن ما حدث فاجأنا، فبفضل قوة شخصية جيسي جاكسون وعمله اللافت كان حضوره يومها مهيباً على الساحة العالمية ولقي أصداء واسعة.

وبمجرد أن رأى الجنود الإسرائيليون أنه يقود هذه المسيرة السلمية حتى وصلنا إلى مكان الحصار حتى انقسموا ولم يسمحوا له بالمرور فحسب، بل تجمع الكثيرون حوله، معبرين عن رغبتهم في لمسه أو مصافحته، كما طلبوا التقاط صور معه.

استشاط القادة الإسرائيليون غضباً، واستمروا في إصدار الأوامر لجنودهم بالتراجع، لكن الجنود تجاهلوها. توجهنا يومها سيراً على الأقدام إلى دار الشرق، حيث عقدنا اجتماعنا.

طوال السنوات التي عملت فيها مع السيد جاكسون، لم أشهد فقط التزامه بالعدالة وشجاعته في مواجهة التحديات، بل شهدت أيضاً مدى إدراكه العميق أن قوته الشخصية يمكن أن تحدث فرقاً على الساحة العالمية.

لقد ساهم في إطلاق سراح السجناء، وفتح أبواب المفاوضات، وبث الأمل في نفوس اليائسين، كما منح صوتاً لمن لا صوت لهم، وحث الحزب الديمقراطي على التمسك بالمبادئ والثبات في التزامه بقضايا حقوق الإنسان والعدالة.

سنظل نفتقد السيد جاكسون ونفتقد مواقفه وثباته على المبدأ وانتصاره لقضايا العدل والإنسان والحرية، لكن إرثه سيبقى حياً في الحركة التقدمية لتغيير السياسة الداخلية والخارجية التي أسهم في تشكيلها.

○ رئيس المعهد العربي الأمريكي

مسلسل «حمدية» العراقي: حين تزعجنا الدراما!

بقلم:
نبيلة رجب

اعتادت الدراما الرمضانية أن تشهد نقاشًا حول بعض أعمالها قبل اكتمال عرضها. هذا أمر مألوف. فما رافق مسلسل حمدية العراقي خرج عن هذا الإطار. الأسئلة التي أثيرت تجاوزت الأداء والحبكة، واتجهت إلى صورة المرأة، وحدود ما يُعرض، وما الذي ننتظره من الدراما أصلًا.

في مثل هذه اللحظات، يلفت الانتباه حجم الانقسام الذي تثيره حكاية واحدة.

حمدية، من بطولة أميمة جواد الشكرجي، وبمشاركة جواد الشكرجي، رويدة شاهين، ومهند ستار. ومع قرار هيئة الإعلام والاتصالات العراقية بإيقاف بث المسلسل على شاشة MBC العراق داخل العراق، مستندةً إلى مخالفته معايير البث وهو ما رفضه صنّاع العمل، فتحوّل المسلسل من دراما تُتابَع على الشاشة إلى موضوع نقاش عام تجاوز حدود العرض نفسه.

الاعتراضات تنوّعت بين من رأى في بعض المشاهد تجاوزاً لحدود ما يُعرض في الدراما العائلية، ومن وجد في طريقة تصوير علاقات المرأة وخياراتها إساءةً للصورة الاجتماعية. في المقابل، رأى المدافعون عن العمل أن هذه بالضبط هي الحكايات التي تحتاج إلى من يرويها.

في مثل هذه الحالات، لا يكفي الاكتفاء بما يُقال. الجدل حين يحتدم يحتاج فهما أقل استعجالًا، وقراءة تعود إلى النص، لا إلى ردود الأفعال. ماذا يقدّم العمل فعليًا؟ وأين يقف؟

قصة حمدية تُروى بخط مستقيم يمكن تتبّعه بسهولة. طفولة تنكسر مبكرًا مع فقدان الأم، ثم حياة أسرية قاسية تترك أثرها في كل ما يليها. الفقر جزء من المشهد اليومي، والعمل ضرورة، والخيارات المتاحة قليلة. حين تدخل حمدية تجربة حب، لا تأتي بوصفها نقطة تحوّل سحرية، إنما كحلقة إضافية في مسار مليء بالتعقيد والارتباك.

اعتماد المسلسل على رواية أدبية للروائي قدوري الدوري يفسّر الانشغال الواضح بالداخل الإنساني للشخصية. السرد يتحرّك على مهل، أحيانًا أبطأ مما يتوقع بعض المشاهدين، ويعتمد على تراكم التفاصيل والأحداث بدلا من القفز نحو لحظات صادمة.

شخصية حمدية تُقدَّم خارج القوالب المألوفة. تتردد، تخطئ، تبحث عن الأمان، وتتحمّل نتائج اختياراتها. هذا التعقيد يفسّر جانبًا من الاعتراض، لأن الشخصيات الرمادية تفتح أسئلة أكثر مما تقدّم أحكامًا جاهزة.

جزء كبير من النقاش انطلق من صورة المرأة. هناك من رأى أن العمل يقدّم صورة قاسية وغير منصفة، وهناك من رأى أنه يفتح نافذة على واقع موجود حتى وإن كان مؤلمًا. الإشكال يبدأ حين نحمّل القصة أكثر مما تحتمل، أو نطلب منها تمثيل الجميع. الدراما تحكي حكاية واحدة، من زاوية واحدة.

ضمن هذا الجدل، ظهرت قراءات حمّلت العمل أبعاداً طائفية لم يقصدها النص – من بينها ربط بعض الشخصيات أو مواقفها بهويات مجتمعية بعينها، وهو إسقاط يكشف إشكالية أعمق: حين يحمل المشاهد ذاكرة جمعية ثقيلة، يقرأ ما بين السطور أكثر مما هو مكتوب. والعمل الدرامي لا يتحمل وحده مسؤولية كل ما يُسقَط عليه، فليس كل ما يراه المشاهد في النص موجوداً فيه.

من الزاوية الاجتماعية، يصعب تجاهل ما يطرحه العمل عن الطفولة حين تغيب شبكة الأمان. فقد الأم، صمت الأب، القسوة داخل البيت. هذه عناصر تتشكل تدريجيًا وتترك أثرها على القرارات اللاحقة. في مثل هذه القصص، نميل إلى محاسبة النتيجة وننسى الطريق الذي قاد إليها.

اللافت أن الجدل نفسه أدّى دورًا إضافيًا. كثافة الاعتراض جعلتني أبحث عن العمل وأتابعه، في محاولة لفهم مصدر هذا الانقسام. ماذا في هذه الحكاية؟ ولماذا أثارت كل هذا التوتر؟

مع تقدّم المشاهدة، يتبيّن أن أغنية المقدمة جزء أصيل من التجربة. التتر، المأخوذ من قصيدة للشاعر العراقي المعروف مظفر النواب، يحمل سردًا مكثفًا يوازي المسلسل في روحه. دقائق قليلة تكفي لرسم مناخ الحكاية ووضع المشاهد أمام عالم مثقل بالذاكرة والتجربة الإنسانية.

في النهاية، قد لا يتفق الجميع على مسلسل حمدية. وهذا متوقع. الأعمال التي تطرح أسئلة لا تحظى عادة بإجماع. السؤال الأهم لا يتعلق بالمنع أو السماح، ولا بصورة المرأة وحدها، وإنما بعلاقتنا بالدراما نفسها. هل نريدها مطمئنة دائمًا؟ أم نسمح لها أحيانًا بأن تفتح زاوية لا نحب النظر إليها طويلًا؟

الدراما التي تزعجنا ليست بالضرورة الأسوأ – ربما هي الأكثر صدقاً مع الواقع الذي نعيشه ونتجنب النظر إليه. هذا السؤال وحده كافٍ ليجعل التوقف عند حمدية مستحقًا.

rajabnabeela@gmail.com